فلسفه التصميم البيئي المعاصر فى ضوء إبداعات المعماري الفنان انطونيو جاودي
Philosophy of Contemporary Environmental Design in view of Antonio Gaudi Artifacts

أ.م.د/ ايمان محمد السيد البنا
استاذ مساعد بكليه الفنون التطبيقيه ـ جامعه حلوان ـ قسم الزخرفه
أ.د/ محمد عزت سعد
أستاذ التصميم الصناعي بكلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان

الملخص:

تتعدد مفاهيم التصميم البيئي في عصرنا الحالي، ويثارالجدل حول تحديد ماهيته ومفرداته ، وتعتبر هذه الورقه البحثيه أحد مراحل تقنين المفهوم الصحيح الواضح لمصطلح التصميم البيئي،من خلال توضيح احد أو بعض جوانب التصميم البيئي تبعا لما يتم استقرائه من فلسفه احد اهم رواد التصميم البيئي.."انطونيو جاودي".

"انطونيو جاودي" ظاهره جديره بالدراسه من قبل كل المهتمين بالتصميم البيئي ، فجاودي –الذي يصنف كفنان معماري ـ الا انني اجد انه ليس من المنطق او من العدل حصر هذا الانسان الظاهره في بوتقه واحده.. جاودي اثبت ـ وبقوه ـ تميزه كمعماري ونحات ومخطط عمراني ومصمم مشغولات معدنيه ومصمم آثاث وديكور داخلي وخزاف و مصورجداري .. لم يترك تفصيله صغيره او كبيره في منشآته للصدفه.. تدخل بفلسفته في ادق تفاصيل ومفردات تصميماته البيئيه .

فهو ظاهره اثرت وما زالت تؤثر في التصميم البيئي لقرنين من الزمان، ومن هنا كان لزاما علينا كمصممين للبيئه دراسه واستكشاف فلسفه هذا المصمم "الظاهره".. لفهم جوانب التميز التي جاءت به في تلك المكانه المتميزه كآحد آهم رواد التصميم البيئي . ..وكل الذي أدي باعماله الي تلك الاستمراريه ؟ بل والمنافسه مع اهم و احدث المنشآت والمباني الحديثه ببرشلونه والعالم اجمع.

الظاهره موضوع البحث

انطونيو جاودي ..ظاهره متفرده كاحد رواد التصميم البيئي في العالم.

هدف البحث

تقنين مفهوم التصميم البيئي فى ضوء فلسفه احد اهم رواد التصميم البيئي.."انطونيو جاودي".

ادعاء البحث

كشف الجوانب الفلسفيه وراء آعمال المصمم انطونيو جاودي في مجال التصميم البيئي تودي الي تاكيد وتوضيح مفهوم التصميم البيئي.

منهجيه البحث

يتبع البحث المنهج الاستقرائي

Abstract:

Recently we can find several environmental design concepts, which raises controversy about identifying its meanings, principles and elements. This research can be considered as a contribution to identify and clear the right concept of the term "environmental design", depending on what is induced from the philosophy of one of the most important pioneers of Architectural design "Antonio Gaudi".

"Antonio Gaudi" is a unique phenomenon worth exploring by design researchers, Gaudi who classified as an architect - but I find that it is not logical or fair to limit this "phenomenon man" in one melting pot - architecture!! . Gaudí proved that he was a true environmental Artist as well as being architect, sculptor, urban planner, applied artist , product and interior designer, landscape coordinator, Pottery artist and Muralist. He intervened with his philosophy in every single detail of his artifacts.

Findings:

For last two centuries, Gaudi had a great affect on the environmental fields of Art and Design, and here it was necessary for us as environmental designers to study and explore the philosophy of this "phenomenon designer", through this paper, We put spot lights on the aspects of excellence that brought him in that special place as one of the most important pioneers of environmental design. His inspirations and thoughts brought him to be Master and great reference of environmental fields of Art & Design.

The phenomenon of research: Antonio Gaudi an unique phenomenon, he is one of the pioneers of environmental design in the world, before the appearance of this term.

Research aim: Clarify the confusions concerning of the concept of "environmental design"through "Antonio Gaoudi's philosophy.

Search claim: The philosophical aspects behind Antonio Gaoudi's work in the field of Architectural design are intended to emphasize and clarify the concept of environmental design.

Key Words:

Environmental Design – Environmental art - space design – nature inspiration

مقدمه Introduction:

بين ممارسة التصميم البيئي والفكر الفلسفى الذي وراءه يدور هذا البحث، حيث تتنوع المصادر في سرد ماهيه الممارسات المرتبطة بتصميم البيئات واعاده تنسيقها او حتي تجميلها .. لم ينل التطرق الي تحليل المفاهيم والفلسفات الاساسيه الموجهة لتلك الممارسات في مجال التصميم البيئي نفس النصيب من الاهتمام البحثي، لذا يحتاج الأمر الى توجه الأنشطة البحثيه الي هذا النوع من المفاهيم والفلسفات المرتبطه والمتحكمه في التصميم البيئي في ضوء معطيات الألفية الثالثة.

الظاهرة موضوع البحث Phenomenon of the research:

رغم ما قدمته الابداعات البشرية من علوم وممارسات للتصميم البيئى حتى الآن مازال ماقدمه المعماري الفنان انطونيو جاودي فى النصف الاول من القرن العشرين (الالفيه الثانيه) من خلال اعماله التى تذخر بزخم كبير يغوص فى أعماق فلسفة التصميم البيئى ليتخطى بها حاجز الواقع فى الطبيعة الى آفاق الميتافيزيقا فيما وراء ذلك النوع من الابداع البشرى الذى يتقاطع بشكل مباشر مع مهمة الأنسان فى الأرض والتى خلقه الله من أجلها ألاوهى عمارة الأرض.

إشكالية البحث Problem of the research:

تتمثل إشكالية البحث فى حل التعارض Contradiction بين الواقع المأزوم الذى تعيشه ممارسات التصميم البيئى الفقيرة الى فلسفة واضحة محددة الملامح وبين المستقبل المأمول فى وجود افكار وفلسفات تقود ممارسات التصميم البيئى الي فتح افاق ارحب من خلال كشف أسرار وفك شفرة ابداعات رواد هذا النوع من المصممين علي مر التاريخ و الثقافات الذين تطرقوا الي هذا النوع من الممارسات الفذه وعلي رآسهم المبدع الاسباني جاودى التى قدمها فى النصف الاول من القرن العشرين.

إدعاء البحث Assumption of the research:

يدعى البحث أن ما قدمه جودى فى النصف الاول من القرن العشرين هو من أهم المداخل لرفع للتعارض بين الواقع المأزوم والمستقبل المأمول فى مجال ممارسات التصميم البيئى.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي

كلمات مرشدة Keywords:

حدس ـ ميتافيزيقا ـ تصور concept ـ حب الطبيعة(بيوفيليا)

حدس Intuition

هناك فرق بين العقلاتى Rational والحدثى Intuitive، العقلانى منهجى methodical ومنطقى logical ومنضبط controlled وإرادى conscious وكذا علمى scientific .بينما الحدسى intuition مبنى على المهارة skill- based ومتمحور حول الذات internalized وغير مباشر، ضمنى indirect, implicit ولاإرادى subconscious ونمطى النزعة pattern oriented وكذا متعدد الأوجه multi-faceted.

الحدس/ الحاسة السادسة/ الهبة instinct والاستبصار insight؟ عملية لا شعورية / لا إرادية. كما انها طريقه لا يمكن تفسيرها خطوة بخطوة باستخدام المنطق.أو كما يقال فإنها على عكس التفكير التحليلي analytical والعقلاني rational.

الحدس قابلية ذهنية طبيعية يمتلكها الجميع ولكن البعض يمتلكها جبلياً بقدر أكبر من البعض الآخر. وكما هو حال أية قابلية أو مهارة، فإن قابلية الحدس يمكن شحذها وتنميتها وجعلها أكثر اعتمادية بواسطة التدريب والممارسة. مشيرة إلى أن البحوث أظهرت أن الحدس يتواجد في جانب المخ الأيمن أكثر من الجانب الأيسر، وأن حصة اللاإرادة فيه أكثر من حصة الأرادة، فضلاً عن ارتباطه بحالات فسيولوجية تتسم بموجات كهربية دماغية ذات تردد منخفض (تردد ألفا)، وهو تردد يترافق طبيعياً مع حالة الاسترخاء.

الميتافيزيقيا Metphisics

الميتافيزيقيا هي دراسة طبيعة الواقع. وهذه هي العملية التي من خلالها نصل إلى فهم كيفية عمل الأشياء، ومن هذا الفهم اتخاذ قرارات حول ما نريد أن نفكر ونشعر والقيام به لتحقيق أقصى استفادة من خبرتنا في الحياة والعالم.

بيوفيليا Biophilia

تعرف لبيوفيليا Biophiliaعلى أنها الميل البشرى الفطرى فى الأنتساب الى الطبيعة، ويتمثل المغزى الأساسى الإلزامى لبيوفيليا فى أنه لا يمكننا أن نزدهر كأفراد أوكجنس بشرى من دون علاقة إنسانية الهدف منها مراعاة للعالم المحيط بنا والذي نكون جزء منه. ((W. Black et al., 2015

أولا: لماذا جاودي؟

عند البحث في ماهيه المفاهيم والفلسفات المؤثره علي عمل التصميم البيئي نجد الكثير من المهتمين بايجاد حلول شامله لكافه مفردات الحيز المكانى، لابداع منظومه بيئيه ايكولوجيه متناسقه مع المكونات الاخري للحيز المكاني من منشآت

معماريه وطرق و بنيه تحتيه وغيرها ، وفي هذا الاطار كان لبعض منهم إسهامات جيدة وإن كانت لاترقى الى أن تشكل أفكارا وفلسفات متكاملة تقدم حلولا متكاملة للإشكاليات المرتبطة بمجال التصميم البيئى.

لذا كان الاهتمام الاكبر بالمعماري الفنان انطونيو جاودي حيث خلق مدرسه متفرده في هذا المجال غايه في الجراه والتمرد علي الواقع المعماري بقوانينه الصارمه ـ آنذاك ـ حيث كان كله ثقه في افكاره ولديه القدره علي اقناع المستثمرين بإبداعاته بالرغم من كونها اقرب الي السيرياليه الميتافيزيقيه غايه في التفرد والذاتيه، وكانها عمل فني حر لا يخضع لكل تلك القيود التي فرضتها مفاهيم وقواعد الهندسه المعماريه علي المعماري وقتها.

لذا كان الاهتمام بالبحث فيما وراء تلك الاعمال الابداعيه من "شخصيته الذاتيه" كيف تكونت؟ وبما تأثرت؟ وما مصادر معرفتها وعلومها؟، وفي هذا الاطار وجدت بعض المقالات المنشورة والكتب التي تتطرق لتلك لموضوعات المرتبطه بحياه وفلسفه انطونيو جاودي الشخصيه، لكن أهم تلك المصادر علي الاطلاق كان فيلمان[1] يوثقان تلك الفلسفه بصوره واقعيه وسرد درامي موفق، كانا مصدرالإلهام للكثير من الأفكاراثناء كتابة هذه الورقه البحثية؛ بالاضافه الي دراسه ميدانيه لابداعات جاودي في برشلونه.

شكل (١)

ثانيا: انطونيو جاودي (النشآه ـ الاراء ـ- الافكار)

شكل (٢) انطونيو جاودي

ولد انطونيو جاودي وعاش في اسبانيا 1852 ـ 1926 ، كان طالبا محيرا لأساتذته، لم يعرفوا ان كان طالبا فذا ام هو الجنون بعينه!!. كان يؤكد ان سبب شهرته واهتمام الناس بابداعاته ثلاثه اشياء اساسيه هى الموهبه والاهتمام بالجوانب المجتمعيه في اعماله social concerns الى جانب الهويه القومية national origin .

تأثر كثيرا بمقوله الناقد المعماري "جين راسكن رود"[2] : الزخرفه هي أصل العماره rchitecturOrnament is the origion of a.. حتي أن تلك الفكره قد شكلت جزء أصيلا في معتقداته التي أثرت علي فلسفته.

اتبع تعليمات مدرسه الأعظم " فيوليت لي دوك [3] 1879 "Viollet_Le_Duc- 1814 الذى لم يعتقد أبدا في وجود طراز نقي Pure style، فكل الطرز متعلقه ببعضها بشكل من الأشكال، وعليه فقد درس جاودى بعمق أعمال الماضي

[1] https://www.youtube.com/watch?v=1Lt7PF3Z5Og
https://www.youtube.com/watch?v=GaN1WB6exAE

"جين راسكن رود ١٨١٩-١٩٠٠ ناقد فن انجليزي رائد في العصر الفيكتوري كان رسام ومفكر اجتماعي بارز في عصره له كتابات عده في مجالات الهندسه المعماريه، الاسطوره، الادب والتعليم.

فيوليت لي دوك ١٨١٤-١٨٧٩ معماري فرنسي وكاتب مشهور بشرحه وتحليله لفلسفه المباني التي تعود للعصور الوسطي،كانت معظم اعماله ترميم واعاده اصلاح لمبان اثريه او استعماليه قديمه ولم يتحقق من تصميماته سوي القليل. [3]

العظيمه من أجل اثراء الحاضر بمعرفه حديثه New knowlege. وقال: "لكي نقيم أعمالا ذات قيمة حقيقيه.. يجب ان نعتبر الماضي بعظمته هو الأساس ..لكن .. مع تجنب أخطاء ذلك الماضي...."

وتكلم أيضا عن قدرته علي تصور الاشكال في المساحات قبل تنفيذها قائلا: "لدي احساس قوي وفهم عميق للمساحات والاسطح إتتني من الاختلاط بالبحاره حيث تربيت في ميناء، فكان البحاره يآتون للتجاره يدرسون ويتصورون ويصممون مكان وضع حاجياتهم بشكل منظم يلائم عمليه البيع والشراء قبل البدء فيها، من هنا تكونت لدي القدره والموهبه علي تصور الاشياء في الفضاء قبل وضعها علي الحيز الارضي".

شكل (٣) سير جويل

وعن الدعم المتواصل لافكاره وابداعاته قال:"التركيبه الخاصه الخاصه لأعمالي واسلوبي الغيرتقليدي في التنفيذ هي أسباب التفات المستثمرين والممولين الحقيقين لتصبح أحلامي حقيقه..." حيث كان وجود المستثمر ذو المقدره الماديه الداعمه والملتزم تجاه متطلبات المجتمع وهمومه، هي التركيبه الاساسيه اللازمه لانتاج أعمال فنيه ومعماريه مبدعه وغير تقليديه". وهذا ما وجده جاودي في السير جويل[4] LGUEL وكان يعتقد ان اعماله العظيمه قد رأت النور لأن السير "جويل" قد آمن بها ودعمها بكرمه العظيم.

كثيرا ما تم اسناد عمليات اعاده تجديد واحياء لمبان اثريه أو سكنيه قديمه للمعماري الفنان انطونيو جاودي، وكان يستعين في تنفيذ تلك العمليات بزملائه المعمارين ذوو الخلفيه الفنيه القويه، حيث المحافظه علي روح المبني وتأكيده مع اضافه اللمسات المعاصره دون الاخلال بالشكل والطراز العام، وكان يقول: " الزخرفه بالنسبه للعماره تماما كالايقاع والقافيه بالنسبه للشعر". وقال أيضا: "اعتمدت علي المعماريين الذين كانوا بالاصل فنانين، ومعا حاولنا المزج بين ايقاعات والوان الداخل مع الخارج"، وكان من رإيه أن "المصور" يؤكد الفكره بالرسم و"النحات" يوضحها بالشكل ثلاثي الابعاد، بينما المعماري كان عليه خلق الكيان نفسه...

من ناحية أخرى كان يؤكد ان أهم المؤثرات علي اعماله هي (الهويه والقوميه ـ التمرد علي المفروض واعتماد الحدس الفني ـ الطبيعه ـ الضوء ـ الاخلاص والعمل الدؤوب).

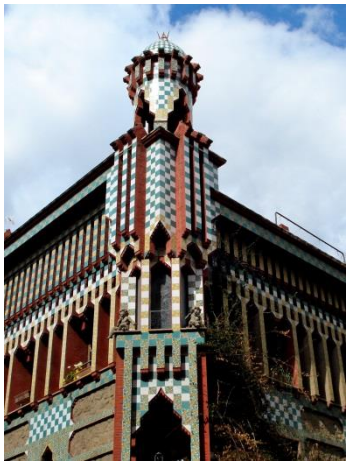

شكل (٤) بيللا فيستا

فيما يتعلق بالهويه والقوميه كان لديه إحساس قوي وعميق بكونه كتالوني الأصل فارتبطت كافه أفكاره بموطنه الأصلي، وبأهل هذا الوطن بشكل عاطفي، أكده جاودي شخصيا في كتاباته ولقاءآته طيله حياته فيما بعد. وفى هذا المجال قال: "في بدايات آعمالي كان لزاما علي الاختيار بين الأحجار والطوب لتنفيذ أبنيتي.. وهنا كان العوده لموطني ..كتالونيا.. حيث السيراميك الملون والحديد المشكل.. فوجدتني اضيفهما بلا تردد في أول أعمالي.. ولم انساق لما هو سائد من تقاليد معماريه، وكانت "بيللا فيستا"هي احد اهم المباني التي تؤكد اهتمامي الكبير بتاكيد الاصل الكتالوني الذي اعتز به، ففي محاوله لاعاده احياء ذلك المبني بين عام ١٩٠٩ - 1900 و الذي تم بنائه منذ وقت طويل بتفاصيل وملامح قوطيه متعدده قادتني لتاكيدها واعاده احيائها،

[4] السير جويل ١٨٤٦-١٩١٨ رجل اعمال اسباني استفاد كثرا من الثوره الصناعيه في كتالونيا كان من اهم الداعمين والمؤيدين لافكار جاودي المعماريه.

فقمت بالمحافظه علي بقايا البناء القديم من العصور الوسطي وربطها ببقيه المباني بحديقه مشتركه تمارس فيها انشطه مجتمعيه."

اما ما يتعلق بالتمرد على المفروض واعتماد الحدس الفني قال جاودي: "إن الفنان يتحول بلوحاته الي البيئه المفتوحه كاملة ليحول جدران العمارة وأسقفها وأسطحها الي قاعات عرض لافكار واحلام سرياليه ميتافيزيقيه ومبهجه."

شكل (٥) مجموعه من تصميمات جxاودي المتنوعه
الممتلئه بالسيرياليه والاحلام متنوعه الاحاسيس

مجموعه من اعمال المعماري جاودي بمدينه برشلونه باسبانيا توضح اهميه الجانب الفني والتجاه السيريالي في التفكير والتصميم لدي جاودي مع الجراه علي التنفيذ والاستمراريه والبقاء ليومنا هذا، من كتاب ريتشارد ريجاس
Ricard Regas: Visual Guide to the Complete Work of Antoni Gaudi 1999

وكما يتضح من الاعمال المتضمنه في شكل (٥) ان المنطق الوحيد المتحكم في اعمال جاودي هوترجمه احلامه الخاصه علي ارض الواقع وطرحها في صور ومفردات بيئيه وجماليه تتداخل مع النسيج اليومي لحياه الافراد، فكانت اعماله هي محصله لعده مفاهيم واساليب في التصميم: "التصميم للمجتمع cial DesignSo" "التصميم المستدام sustainable n desig و"العماره البيئيه environmental architecture" مع "التصميم الايكولوجي Eco Design" و"فن الشارع streeet art" وغيرها كلها تحت اطار ومظله التصميم البيئي، بحس فني نادر.

وكان متمكنا من الدمج بجراه نادره بين الطرز والزخارف المختلفه: الباروك مع الفن الاسلامي واضافه رموز الاساطير ومزجها كافه باسلوب الفن الحديث كما بالشكل (٦) (٧)

(شكل ٦)
بوابه المنزل الخاص للسير جويل تحمل الحرف الاول من اسمه باسلوب الأرت نوفو وتداخله مع الطراز القديم للمبني الاساسي مع الحس السريالي الخاص بجاودي

(شكل ٧)
مبني بيللا فيستا من زاويه توضح المزج بين الطرز المتنوعه بطلاقه وجراه نادره

وقد كان دائما ما يؤكد علي اهميه الحدس والجانب الفني لدي المعماري و يفرق بينه وبين المهندس ففي حوار عن كنيسه العائله المقدسه Sagrada Famili (شكل ٨) قال: "علي المعماري ان لا يعتمد علي الهندسه Geometry اعتمادا كليا في افكاره، فهي قد تساعد علي ايجاد الشكل الصحيح الملائم لكل استخدام، ثم يأتي دور الفنان فيبدع لها طابعا خاصا متجددا.. وبينما المهندس يستخدم شكل واحد لكل شيء، فالمعماري يتفوق في اعطاء الروح المختلفه لكل بناء، مثال علي ذلك الكنائس في المسيحيه وهي البناء المخصص لله بكماله فهذا البناء يجب ان يشارك الله في هذا الكمال ويصبح شيئا مطلق الجمال والكمال، وهذا ليس موجود بكنائس هامه مثل كنيسه القديس بطرس او كنيسه السيستين في روما، فهما ليسا اكثر من عملين يتجلي فيهما الابداع الزخرفي والديكور فقط بينما دور المعماري لم يكن بتلك الاهميه."

(شكل ٨) كنيسه العائله المقدسه بما تحمله من محاوله معماريه جاده وصادقه من جاودي للوصول الي الكمال الذي يتصف به الله تعالي، مبتعدا عن الاكتفاء بالزخارف والتزيين المعتاد في اغلب الكنائس الهامه

وكان يعظم من دور الحدس و الاحساس واهميته لدي المعماري اكثر من سيطره العقل والمنطق والتي تؤدي كثيرا الي التكرار واحيانا الخطا. المعماري هو شخص لديه القدره علي تخيل الاشياء ورسمها قبل وجودها، وترتيبها في كيانات ثلاثيه الابعاد.. لكن "باحساس قوي" كان يؤكد ان الاحساس هو الحياه feeling is life ودائما ما تكون "الراس" هي سبب الخطآ (يعني العقل والمنطق) .

كما كان يعتقد ان التمسك الشديد بالقوانين العلميه هو شيء عديم الفائده في فن العماره، العلم هو التحليل، والتحليل هو الموت للابداع الفني، وشبه العلم بكتله هائله من المعدن غير قابله للحركه والفن هو الشيء الوحيد القادر علي تحريكها وجعلها متاحه للجميع.

وكان يؤمن باعتبار الغوايه الناتجه من جمال الفكره والرغبه في الوصول بها الي حيز الواقع هي اهم واقوي محركات الطاقه الفنيه والابداعيه لدي الفنان والتي اذا تم فقدها ـ طاقه الاغواء ـ فقد العمل براعته وصدقه القادر علي الاستمرار قرونا من الزمان بنفس التوهج والاقناع.

كما كان يؤمن بان الطبيعه هي مصدر الالهام الاول والاهم للمعماري الفنان فكان يحرص علي تنوع الالوان وثراها ـ علي حسب قوله ـ لاشيئ في الطبيعه احادي اللون (نبات او حيوان او حجر..) وعن مدي تقديره للطبيعه ودورها كاهم مصادر الالهام علي الاطلاق تكلم قائلا:

- "خلال حياتي كلها.. كان حلمي المجرد هو ايجاد اشكالا جديده للبيئات المعماريه ..حيث تختفي الزوايا .. وتندمج الخامات المختلفه وتتكامل لملء المنحنيات..حيث تغمر أشعه الشمس الجوانب الاربعه للمكان .. في محاوله لخلق صوره.. للجنه.."
- " استلهم أفكاري من الأشجار القائمه بفروعها واغصانها وأوراقها..وأفكر في كل جزء منها بشكل منفصل وادرس قوانين ارتباطها ببعضها البعض.. علاقه الجزء بالكل والتي ابتدعها الخالق.. الفنان الأعظم..." قالها جاودي عندما سؤل عن السر في تنوع اعماله في بداياته.
- "لم يقم الانسان باختراع اي شيء علي الاطلاق!! وضع الله كل شيء امام اعيننا .. هو المخترع الاوحد.. والطبيعه تحمل كافه الاختراعات السابقه واللاحقه"
- كل عمود في ابنيتي له طابعه الخاص تماما كالآشجار في الطبيعه لكل شجره ملامحها الخاصه التي تميزها عن الاخري.
- حب الطبيعه واحترامها كان من اهم دوافعي في العمل المعماري في احد المرات اضطررت للالتفاف بسلما كاملا حول شجره صنوبر رفضت قطعها تحت اي ظرف من الظروف وظللت متمسكا بوجودها، فالسلم يبني في وقت قصير جدا مقارنه بشجره عظيمه تحتاج الي عشرات السنين لتنمو.

كان لجاودي اهتماما قويا بايجاد حلول معماريه بيئيه تساعد المباني علي التنفس فيقول: " دائما ما اعتبر السطح العلوي للمبني اهم جزء بالنسبه لي، حيث السماء فقط .. كل تلك الاشكال الزخرفيه والكيانات النحتيه التي اضعها فوق اسطح بناياتي (شكل ٩) ليست مجرد زخارف تجميليه فقط بل ان لكل منها دور وظيفي حيوي ، فيها فتحات للتخلص من الدخان والهواء غير المرغوب فيه لمساعده المبني علي التنفس."

(شكل ٩) بعض فتحات التهويه العلويه والمداخن علي اسطح مبان جاودي حيث الاصرار علي تحيل البيئات المحيطه الى لوحات فنيه دون الاخلال بالجوانب الوظيفيه

شكل (١٠)
تطويع الافكار المستلهمه من الطبيعه لتصبح كيانات معماريه قائمه من آعمال المعماري جاودي حيث سلم داخلي في مبني لابراديرا وسقف كنيسه االعائله المقدسه ببرشلونه

والاشكال ٨-٩-١٠ من كتاب ماريا كريبيا والذي تم اصداده عام ٢٠١٥
Gaudi 2015 :by Maria Antonietta Crippa and Peter Gössel
الطبيعه كانت اقوي مصادر الالهام بالنسبه لجاودي كما يتضح بقوه في كافه اعماله (شكل١٠)
، الشكل الحلزوني المستلهم من قوقعه ، تناسق وتناغم سيقان النباتات، اتزان جذوع الاشجار، ،غيرها كثيرا من الظواهر الطبيعيه استخدمها لابداع تاثيرات مبدعه ومبتكره علي كافه اعماله. لغرض جمالي وظيفي او كما قال (للمتعه).

كما ان الكثير من ابداعاته (شكل ١١) تم استلهامها من زياراته المتعدده لكهوف "مايوركا وكالباتو" وجبال "برادس"، وكان يقول: "لايوجد اي هيكل افضل من جذع شجره بما يحمله من اغصان وفروع او هيكل عظمي يحمل جسم الانسان، هذه التشكيلات تحمل خواص جماليه ووظيفيه غايه في التوازن والرقي، لقد اكتشف جاودي كيفيه تطويع لغه الطبيعه الي كيانات وهياكل معماريه.

شكل ١١ احد مناطق التجول المستوحاه من الكهوف - في حديقه جويل ببرشلونه تصميم جاودي

- الضوء.. كان لعامل الضوء آثرا هاما علي كافه اعمال جاودي و كان يؤكد ان العماره هي تآكيد لعظمه الضوء " Architecture is exellency of light " و كان يعتقد ان للبحر الابيض المتوسط دور كبير في الابداع المعماري من حوله، ففي دول حوض البحر الابيض المتوسط حيث حضارات - اليونانين والايطالين وكذلك المصريين والاسبان - ينكسرالضوء علي سواحله بزاويه ٤٥ ، فيعطي الطبيعه من حوله سحرا خاصا بينما كان يشفق علي الدول الشماليه التي يصلها الضوء بشكل افقي حزين او الدول المداريه التي يصلها ضوء عمودي وشديد .

- الاخلاص والعمل الدؤوب .. كان جاودي شديد الاتقان والاخلاص لما يعمل فقد كان يعمل ما يحب.. ويحب ما يعمل**!** كان يقول: "لا أعتبر عملي جيدا او منتهيا الا عندما اجدني قد عجزت عن تصور اي اضافه جديده لكماله "، "كلنا نخطيء.. ومن يخطئ أقل هو من يعيد نفسه بشكل منتظم".

- الايمان الكامل باهميه العمل الجماعي فكانت اغلب عماله هي نتاج تعاون مثمر بينه وبين فناني الموزاييك او النحاتين والرسامين.

الخلاصة Findings:

التصميم البيئي هو حاله خاصه جدا من حالات التصميم حيث الطبيعه الديناميكيه للبيئه والتي تفرض طبيعتها علي كل ما يتعلق بهذا المفهوم سواء كان طبيعته، مراحله،طرقه واساليبه، اساسياته، وطبيعه المصمم البيئي ذاتها والتي عبر عنها انطونيو جاودي بشتي الطرق، حيث يحمل نفس الطبيعه الديناميكيه للبيئه ، وظهر هذا في كتاباته وفلسفته قبل ان يتضح وبقوه في كافه اعماله والتي تحمل نفص صفات البيئه من التغير والتنامي واللامفروض واللاحتمي، واحيانا كثيره اللاواقعي.

ويمكن أن نرى ذلك بوضوح إذا ألقينا نظرة فلسفية شمولية علي بعض اعمال انطونيو جاودي بعد تعرضنا لمقتبسات من إبداعته الى تعتبر داعمة لمفاهيم وفلسفة التصميم البيئى المعاصر

اولا : الجمال هو انعكاس الحقيقه

١- حديقه جويل: اقتبست الفكره الاساسه لحديقه جويل (Park Guell) من المتنزهات الكبيره في انجلترا والتي لفتت انتباه "سير جويل" اثناء زياراته المتكرره، كانت الارض المقامه عليها الحديقه فوق جبل (مونتانا بيلادا) خصصتها الدوله للبيع كقطع اراضي فوق الجبل تحيطها الشمس من كل جانب مع أفضل زوايا رؤيه للمدينه ككل ويتم احاطتها بأسوار فتصبح منطقه سكنيه منفصله بسور عن المدينه (كومباوند)، لكن لم يتم استكمال المشروع علي هذا النحو[5] ، ولم يبق من الفكره الاساسيه سوي المتنزهات والاماكن العامه المخصصه للتجمعات والنزهات والتي بدأت بدورها بأعطاء المكان شكل الحديقه. كانت رؤيه جاودي الخاصه بتداخل العماره مع اللاندسكيب (ليصبحا كيانا واحدا) هي الخلفيه الاساسيه اثناء تصميم الكيان الاساسي او التجميلي للحديقه. وعن افكار الحديقه قال جاودي : " ان الالوان و الخامات استخدمتها لاضفاء التأثيرات السحريه ، ولقد رفضت تماما فكره تحويل المرتفات الي مصاطب لانني اردت ان اتركها ممرات ومنحدرات متصاعده محاطه باجواء طبيعيه مثل الكهوف والاعمده الحجريه المائله (شكل ١١) ، لسبب واحد هو ان العماره واللاندسكيب الطبيعي يصبحان كيان واحد بدون اي اضافات واضحه الا حتميه او تزينيه ملحه "

[5]نظرا لعدم اقبال المواطنين علي شراء الأراضي الا قطعتين فقط تم شراؤهما وبنائهما كانت احداهما لجاودي اقام فيه مع والده لاعوام كثيره حتي انتقل للاقامه باستوديو ملحق بالكنيسه المقدسه اثناء العمل بها

"كانت كافه الخامات المستخدمه في اعمال وهياكل بارك جويل زهيده التكلفه، كلها خامات تنتمي الي البيئه ذاتها المشيده فوقها ، فآخذنا الاحجار من الجبل وبنينا بها، كما تم صناعه بلاطات السيراميك والموزاييك من نفس الخامات التي وجدناها هناك".

الجمال هو انعكاس الحقيقه، اذا وجد الجمال بلا حقيقه فقد مصداقيته وجماله، لذا كان البحث عن الحقيقه الطبيعيه والفعليه للبيئه المقام عليها الحديقه هو مصدر الجمال الناتج عن العمل .

"العمل هو نتيجه فعليه للتعاون والعمل الجماعي، كانت الفنان (جوزيف ماريا[6]) من اهم عناصر فريق العمل الذي تمكن من انجاز كافه اعمال الموزاييك في بارك جويل ، وكان اصدقائي النحاتين والرسامين من ضمن فريق العمل ايضا الذي كان لا يجمعه الا الحب والرغبه في تنفيذ الحلم الذي اجتمعنا عليه، كانت هناك رغبه عارمه نتجت من غوايتنا وافتتاننا بالمكان والحلم والرغبه في اتقان التنفيذ " شكل ١٢ .

(شكل ١٢)
منزل انطونيو جاودي في بارك جويل وتفصيلع من الشباك المنفذ بالموزاييك وكذلك العمل النحتي فوق النافوره و المقاعد المشهوره بالحديقه مع تفصيله خاصه بها نفذت نتيجه للتعاون المثمر بين جاودي وجوزيف دي ماريا

ثانيا : اضفاء الثراء والبهجه

ـ مبنى كاساباتيللو: تم اسناد عمليه تجديد الواجهه والشكل الخارجي لمبني(كاساباتيللو) لانطونيو جاودي من قبل مالكه رجل الاعمال الذي احس بملل ورتابه شكل المبني القديم وكان يرغب في تعديل وتجديد كامل يضفي ثراء وبهجه علي شكل المبني، يقول جاودي عن هذا المبني الحلم: "قد اتصل صاحب البناء بي لتحقيق حلمه والاهتمام به، فقمت باضافه افكاري الغريبه الي كافه اسطح المبني، الواجهه اعتمدت علي اعمده واضحه مستوحاه من اقدام الفيل، بينما الخط الخارجي المحدد لسطح المبني العلوي عباره عن ظهر تنين اسطوري، الواجهه قمت بتغطيه البلكونات المعلقه بها بكيانات منحنيه تخفي اجزاء كثيره من الحديد الموجود وتبدو وكانها ملساء بلا احجار، اختفت الزوايا والخطوط الحاده من المبني وذابت معا، لتبدو كافه الاشياء والاشكال وكانها تطفو وتتحرك بليونه فوق الاسطح، وبالنسبه لاعمال التكسيات كانت

* احد آهم فناني الموزاييك في برشلونه آنذاك تعاون مع جاودي في تنفيذ العديد من افكاره واحلامه المعماريه وتحويلها الي واقع في عده مبان واماكن متعدده (اساميلا وبارك جويل) وقد كان اشهرها علي الاطلاق المقاعد المنفذه في بارك جويل.

تغطيه الجزء العلوي من واجهه المبني ببلاطات خزفيه متنوعه الاشكال والالوان تتغير بانكسار اشعه الشمس فوقها لتاخذ تاثير جلد الزواحف المتلون، اما الاجزاء المصمته فكان الاعتماد علي الاحجار الطبيعيه المصقوله لتعطي احساس موديل الطين، بالنسبه لي كان هذا المنزل وكانه حلم بطبيعته وافكاره المجنونه الغير مترابطه وكذلك السهوله التي مرت بها العمل ومراحل التنفيذ.

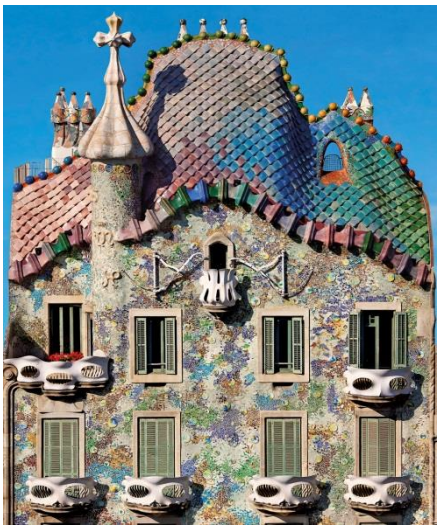

(شكل ١٣) مبني كاساباتيللو ـ الواجهه الاماميه

ثالثا: الطبيعه هي الكتاب السحري للابداع والابتكار

٣ـ مبني كاساميللا:

في عام ١٩٠٦ تم اسناد عمليه تصميم وانشاء مبني (كاساميلا) في مدينه برشلونه، علس مساحه من الارض تتعدي اكثر من ١٠٠٠ متر مربع، وكان التفكير في هذا المبني تحديا عظيما بالنسبه لجاودي ـ علي حد قوله ـ حيث انه علي شكل زاويه تطل علي شارعين بهما الكثير من المبان الاخري متنوعه الاشكال والاحجام! فقرر اعطائه الشكل الخارجي لانحناءات وتعرجات الجبال والكثبان الرمليه، وهكذا كانت الطبيعه هي الملهم الاول لي في تصميم افكار هذا المبني من جدران واسوار حديديه او مفردات تكميليه داخليه . تحدث جاودي قائلا في هذا الشان: " الطبيعه هي الكتاب السحري الذي يحوي افكارا لانهائيه وليس علينا الا الاستمرار في قراءته ، وقد اعطيت الجدران المحيطه بالمبني مؤثرات لونيه متنوعه وغنيه تنتشر عليها افرع الاوراق الجافه السوداء المكونه لاسوار البلكونات في ثراء لوني وتشكيلي ..." "...هذا ولم يخلو سطح المبني من الايماءات الدينيه التي بدات احاول اضافتها الي اعمالي مؤخرا بدءا من هذا المبني فكانت الابراج العلويه لتعبر عن ملائكه مصطفه لحمايه المبني، وهي الفكره التي لم تنال اعجاب العميل ففقدت رغبتي في استكمال الاشراف علي المبني عام ١٩١١، وقام اخرون بانهاء التفاصيل الاخيره وكانت اضافه لبعض الابراج العلويه الغريبه ـ ارضاء للعميل ـ والتي اثرت علي المضمون الفلسفي الذي كنت ابحث عنه.لم يتفهم الناس بساطه العمل المستلهم من الطبيعه في ذلك الوقت فاطلقوا عليه "لابرادريرا" اي: الحجر الكبير،استهزاء ببساطته وطبيعته. ولكنني اردت بهذا العمل ـ الذي قررت لاحقا ان يصبح اخر اعمالي المدنيه ـ ان يصبح كل شكل فيه له وظيفه نفعيه للمقيمين فيه ، وهذا ما اشتهرت به لاحقا"

(شكل ١٤)
مبني لابريديرا (كاساميللا) لانطونيو جاودي في برشلونه من عده زوايا واتجاهات توضح مدي التأثر بالطبيعه في الزوايا المنحنيه، والحديد علي سطح المبني الامامي، وكذلك توضح الاختلاف بين المداخن العلويه التي اقترحها جاودي وما تم تنفيذه واستكماله علي يد اخرين.

رابعا : الابداع الحقيقي هو الذي ينقل رسائل للناس

٤ ـ كنيسه العائله المقدسه (ساجردا دي فاميليا): في عام ١٩٢٢ كان اسناد عمليه استكمال بناء كنيسه (ساجرادا فاميليا) في قلب برشلونه،وهو عمل قائم تماما علي التبرعات ، لذا كان الانجاز بهبطيئا جدا حيث انه ليومنا هذا لم يتم افتتاحه بعد، ولم ير جاودي هذا البنائ قائما قبل موته المفاجئ عا ١٩٤٦ اثر حادث، وقد اعتبر جاودي موقع هذه الكنيسه ـ آنذاك ـ موقعا فذا بكل المقاييس، حيث قال :" حين بدات دراسه موقع الكنيسه للبحث عن مناطق الطبيعه التي ساستلهم منها، فوجدتها تبتعد عن البحر بنفس القدر الذي تبتعد به عن الجبال والمسافه ذاتها التي تبتعد بها عن نهر برشلونه..." "...هذا وقد ملات الواجهات المختلفه للكنيسه بقصص مسيحيه من الكتاب المقدس وضعتها في جو كتالوني متنوع الزخارف، وقد كانت الطيور علي الاسطح رمزا للارتقاء والعلو فهي تقترب الي اعلي نقطه في عالمنا لتنقل لنا رسائل الاله" .

(شكل ١٥) كنيسه ساجرادا دي فاميليا

الي اليمين نموذج نفذه جاودي(موجود بمتحفه في برشلونه) لاستلهام الشكل الخارجي لبناء الكنيسه والمستوحي من قانون الجاذبيه الطبيعه وتاثيره عل مجموعه من السلاسل اللينه، وكذلك البناء النهائي الذي لا يزال قيد التنفيذ الي يومنا هذا والذي لم يشهده جاودي في حياته .

نتائج الدراسه

مما سبق نجد ان اهم نتائج هذه الدراسه هي امكانيه الوقوف علي اهم دعائم فكر التصميم البيئي تبعا لفلسفه ورؤيه المعماري انطونيو جاودي الواضحه في اعماله:

اولا : الجمال هو انعكاس الحقيقه

ثانيا : اضفاء الثراء والبهجه

ثالثا: الطبيعه هي الكتاب السحري للابداع والابتكار

رابعا : الابداع الحقيقي هو الذي ينقل رسائل للناس

هذا ويمكن اعتبار تلك الدعائم نقاط انطلاق للتفكير في التصميم البيئي بوجهه نظر معاصره ترتبط بجذور الحضاره والثقافه والبيئه المحيطه

توصيات Recommendations:

ضروره البحث في الثقافه اللاماديه Non material Culture المؤثره و بعمق علي كافه المبدعين، والتي تحدد ماهيه الثقافه الماديه Material Culture الناتجه عنهم (ابداعاتهم Artifacts) حيث كان لفهم طبيعه تكوين الايدولوجيه الخاصه بجاودي وفسلفاته المكتسبه علي مدار حياته اكبر الاثر علي مجموع الصياغات الابداعيه التي انتجها، وكانت خير مثال تفسير معاصر لمفهوم وفلسفه التصميم البيئي من ناحيه والمصمم البيئى ذاته من ناحيه اخري.

مراجع إسترشادية Guide References:

- Bonet i Armengol, Jordi (2001). L'últim Gaudí: el modulat geomètric del Temple de la Sagrada Família (in Catalan). Barcelona: Pòrtic. ISBN 978-84-7306-727-0.
- Castellar-Gassol, Juan (1999). Gaudí, the Life of a Visionary. Translated by Paul Martin. Barcelona: Edicions de 1984
- Martinell, Cèsar (1975). Gaudí: his life, his theories, his work. Translated by Judith Rohrer. Cambridge, Massachusetts: The MIT Press. ISBN 978-0-262-13072-1.
- https://www.youtube.com/watch?v=1Lt7PF3Z5Og https://www.youtube.com/watch?v=GaN1WB6exAE